



الموت العقابي أو البدلي !!!

ماذا يعني الإحتكام إلى أثناسيوس؟

(٣)

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

الخلاص الأبدي ليس بواسطة بديل

هدم الكنيسة من الخارج والداخل

لا ينفصل وصف رب المجد يسوع بأنه البديل العقابي عن محاولات هدم الكنيسة، سواء من الخارج أو من الداخل، بل هو استمرار لهذه المحاولات، وإن كانت تتم تحت ستار شرح العقيدة.

وإذا حاولنا رصد هذه المحاولات، نجد أن الهجوم على الكنيسة من الخارج يتوزع إلى فرعين؛ الأول يتوجه إلى الوجود المسيحي ذاته، والثاني إلى لب عقيدة الكنيسة وحياتها. فلم يكن دقلديانوس ونيرون وأريانوس ومن بعد هؤلاء المماليك والأتراك العثمانيين، ثم الإرهاب الذي عشناه قبل وبعد أحداث الزاوية الحمراء، وحرق ٦٦ كنيسة أثناء ثورة ٣٠ يونيو، وتفجير كنائس البطرسية ومار جرجس بطنطا؛ لم يكن هؤلاء إلا معاول هدم وُجّهت إلى الوجود المسيحي ذاته على مر العصور. غير أن هذا الهجوم، تزامن معه التشكيك في عقيدة الكنيسة وإيمانها سواء عن طريق الهراطقة في عصر الكنيسة الأول، أو عن طريق الإرساليات في العصر الحديث. والمثال على ذلك في العصر الحديث، الهجوم الساخر العنيف ضد سر الإفخارستيا وطقس الكنيسة في كتاب د. حنين عبد المسيح وغيره من الذين وصل بهم الجهل حد الاتهام بأننا "نأكل المسيح"، وأغفلوا عن سوء نية كلمات الرب نفسه أنه هو "الخبز الحي النازل من فوق من عند الآب" (يو ٦: ٣٣، ٥٠)، فغَيَّبوا بشارة الإنجيل وقصد الله في التدبير، وأحلوا محلله الغضب وشهوة الانتقام.

أما الهجوم من الداخل، فقد طال الروح القدس نفسه، حيث استهدف حلول

وسكنى الروح فينا باعتبارنا هيكل الله، وأصبح "الحلول المواهي"، ذلك الخطأ القاتل هو البديل لحلول وسكنى الروح القدس فينا. وتطوع أحدهم بفتوى بأن الروح القدس كان يسكن في العهد القديم ولكنه يحل في العهد الجديد، وكأن كلمات الرسول: "أنتم هياكل الله وروح الله ساكنٌ فيكم"، كلمات لا يجب أن يذكرها أحد. ودخلنا نفقًا مظلمًا، وهو الاحتكام إلى اللغة وحدها. وأصبح من يشرح الإيمان الأرثوذكسي على أساس التسليم هرطوقيًا ومخالفًا لتعليم الكنيسة!

وقد شمل الهدم من الداخل وحدة شخص المسيح نفسه تأسيسًا على أننا نأخذ الناسوت في سر الشكر دون أن تكون لنا شركة في ألوهيته. ووصل بنا الأمر إلى أن يصدر قرار باطل من مجمع الكنيسة بأن الشركة في الطبيعة الإلهية هرطقة، بقصد ضرب الأب متى المسكين ودير الأنبا مقار وكاتب هذه السطور، دون وعي بأن هذا القرار ينال مباشرةً من لب الإيمان المسيحي، بغض النظر عن الأشخاص. ولم تتوقف مسيرة الهدم، بل اتخذت طريقها حتى وصلت إلى اغتيال الأنبا أييفانيوس رئيس دير الأنبا مقار، ليس لشيءٍ إلا لأنه كان الصوت الأرثوذكسي القوي في مجمع الكنيسة. وبدأت فرق أليكترونية تعيد من جديد بعث الأخطاء الإيمانية التي دُوّنت في كتاب "بدع حديثة"، في محاولة للدفاع عن الخطأ بخطأ لا يقل عن الأول فداحةً.

هذا هو ما حدث، وما سوف يستمر في الحدوث؛ لأن ولاء المشاغبين أليكترونيًا وفي الخفاء، لشخصٍ آخر غير شخص الرب يسوع المسيح.

وعندما نتصور أن البابا تواضروس بمفرده قادرٌ على تبديد هذا الدخان القاتل، فكأننا نصنع جبلاً يحرسه الحرس القديم ونطالب البابا بهدمه أو نقله إلى مزبلة التاريخ، وهو عمل شاق، بل مستحيل على شخصٍ واحد، وهنا أصبح من مسئوليات الجيل الجديد أن يقف صفاً واحداً لشرح الإيمان قبل الرد على هؤلاء الغوغاء والمشاغبين. وليكن معلومًا إن هؤلاء الغوغاء ليسوا إلا نحاسًا يطن أو صنوجًا ترن، فلا معرفة لديهم من أي نوع، لا بالتاريخ، ولا حتى بصلوات أم الشهداء، الشاهد النقي للتعليم.

الوجود الجديد ليس وجودًا في بديل

أولاً: لقد خُلِقنا من العدم، وسرى فينا الموت الذي دخل مع الخطية (رو ٥: ١٢)، ولكن صار لنا وجودًا جديدًا عبَّر عنه الرسول بولس في عبارة موجزة "في المسيح يسوع" (فيلبي ١: ١ - ٢ كور ١٢: ٢ - رو ٨: ١)، وغيرها من شهادة الرسول بولس عن الوجود الجديد الذي نال اسمًا جديدًا هو "الخلقة الجديدة" (٢ كور ٥: ١٧ - ١٨). وهي خلقة جديدة في المسيح وليست من العدم مثل خلق آدم^(١).

ثانيًا: كيف صرنا خلقة جديدة؟

كتب غريغوريوس اللاهوتي عن الميلاد البتولي: "لقد انحلت قوانين الطبيعة بميلاد الرب من العذراء. وانحلت قوانين الطبيعة الفائقة العلوية، أي السماء لكي نولد من الروح القدس مثل ذاك الذي وُلِد من الروح القدس والقديسة مريم" (عظة على ميلاد الرب).

لقد تحول أصلنا من آدم إلى المسيح بميلاد الرب من البتول حسبما شرح المعلم أثناسيوس: "وبينما وُلِد الجسد من مريم والدة الإله، فإن الكلمة نفسه يقال إنه وُلِد ... وإنما وُلِد لكي ينقل بداية وجودنا إلى كيانه، حتى لا نرجع بعد ذلك إلى تراب لأننا صرنا أصلاً من تراب، ولكن بشركتنا في الكلمة (حرفياً بصلتنا بالكلمة) الذي من السماء، فإننا ندخل (حرفياً نُحْمَل) إلى السماء بواسطته ... لأننا لم نعد نموت بحسب أصلنا الأول في آدم، بل بسبب أن أصلنا (أو بدايتنا) وكل ضعفات الجسد قد انتقلت إلى الكلمة. فنحن نقوم من الأرض، إذ أن لعنة الخطية قد أُبْطِلت بسبب ذلك الذي هو كائنٌ فينا، والذي قد صار لعنةً لأجلنا. وكما أننا جميعاً من الأرض وفي آدم نموت، هكذا نحن إذ نولد من فوق من الماء والروح، فإننا في المسيح نحيا جميعاً. فلا يعود الجسد فيما بعد تراباً، بل يصير إلهياً مثل اللوغوس وذلك بسبب كلمة الله الذي لأجلنا صار جسداً"

(١) راجع دراستنا: الكنيسة جسد المسيح، المسيح والمسيحي وشركة الجسد الواحد، القاهرة، جذور، ٢٠١٤، والدراسة منشورة على موقع الدراسات القبطية.

(ضد الأريوسيين ٣ : ٣٣).

كما يقول: "لقد تأنس لكي يؤلّها فيه، وولد من امرأةٍ لكي ينقل إلى كيانه جنسنا الخاطيء لكي نصبح فيه شعبًا مقدسًا وشركاء الطبيعة الإلهية" (فقرة ٤).

ويقدم القديس كيرلس الكبير نفس الشرح في العظة ١١ على إنجيل لوقا.

إذن، جاء الأصل الجديد للجنس البشري، وهو ليس بديلاً مهماً كان معنى كلمة بديل.

وقد يقول قائل إنه بعد تجسده صار البديل المعاقب من الآب، ولكن هذا تصوّر العصر الوسيط الأوربي، وهو تصور فاسد تمامًا لأنه ينفي ما جاء به تجسد رب المجد. حيث تم حصر الفداء في الموت، وأهمل التجسد والقيامة، لكن رب المجد صار رأسًا لجسدٍ واحدٍ هو الكنيسة. وقد كشف عوار التعليم عن الأجساد الثلاثة كيف تحولت الأرثوذكسية إلى أنقاض، بعد أن كانت القلعة المنيعه.

لقد هدم البديل العقابي التجسد، فلم يُعد له مكان في التدبير.

وأبعدت القيامة عن التدبير، لأن الخلاص برمته تم على الصليب، وانتهى الصלב بالدفن، أي بالموت والقبر.

لكن أثناسيوس - إذا أردنا الاحتكام إليه - يذكرنا بأن الرب هو "أول طريق الخليقة الجديدة ... لكي لا يحيا البشر فيما بعد حسب الخليقة الأولى، بل حسب الخليقة الجديدة التي المسيح هو أول طريقها" (ضد الأريوسيين ٢ : ٦٥).

فالمسيح "هو بداية جديدة بسبب القيامة من الأموات ... هكذا خُلِقَ المخلص بحسب الجسد وصار أول الذين خُلِقُوا من جديد" (ضد الأريوسيين ٢ : ٦٦).

"وهكذا لن نسمع بعد اليوم: لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت، بل نسمع حينما

أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (المرجع السابق)، وذلك لأننا أصبحنا خلقاً جديداً في المسيح يسوع.

يتبع ،،

د. جورج حبيب بياوي